المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 04-08-2005 العـــدد : 14222
الصفحـات : 49 المسلسل : 129

قراءة في فكر السياسي ورجل الدولة عبدالله بن عبدالعزيز

اصلاح الداخل وحمل قضايا الامة غربا وشرقا

كتب: خالد طه

..«لقد رحل نظام دولي قديم وحل نظام جديد.. وتهاوت انظمة بالية ونشأت كيانات.. وهبت اعاصير وانفجرت براكين.. نحن نعيش اليوم في عالم واحد تقاربت أجزاؤه وزالت المسافات بين دوله ولم تدع ثورة الاتصالات سبيلا لاحد لكي يعيش في معزل عن الاحداث ايجابيها وسلبيها».

هذه الفقرة وردت في كلمة خاطب بها خادم الحرمين الشريفين عبدالله بن عبدالعزيز القمة الاسلامية التي التأمت في داكار عام ١٩٩١.. وهذه الفقرة تعكس احد ابعاد الفكر السياسي لديه والقائم على القراءة الواعية لمستقبل العالم الذي نعيشه.. انها نبوءة مفكر سياسي قادر على استقراء المتغيرات واستشراف التطورات التي يفرضها الواقع المعاش وحتمية التاريخ.

ويستمر الملك عبدالله بن عبدالعزيز في تشخيص هذا التحول النوعي الذي شهده العالم ويرحب في القمة الاسلامية السابقة التي استضافتها المغرب عام ١٩٩٤ بانضمام طاجكستان وتركمانستان وقيرقيزستان والبانيا الى منظمة المؤتمر الاسلامي لكنه يعتبر ذلك «تجسيدا لحلول نظام دولي جديد وانهيار نظام قديم ودول وامبراطوريات خرجت من تحت عباءتها هذه الدول الاسلامية كتعبير عن تكفير اخطاء التاريخ في حق الجغرافيا والشعوب التي ضمت قسراً الى شعوب اخرى».

وانطلاقا من الادراك الواعي للمتغير والقراءة الناضجة للواقع ينطلق الملك عبدالله بن عبدالعزيز مجددا الى استشراف النتائج.. اذ يقول عقب مشاركته في القمة الخليجية التي عقدت في مسقط عام ١٩٩٦ «ان انكماش جغرافية العالم الى ما يشبه البيت الواحد الذي تتجاور فيه الامم يمثل واقعا لا مكان فيه للعزلة.. هذا ما يجب ان يدركه عالمنا وندركه نحن دول الخليج».

ويلخص مبكرا وتحديدا عام ١٩٩٦ ما يترتب على الوعي بالمتغير والواقع الجديد بالتالي:

١- بناء العلاقات على اساس من احترام سيادة الدول واستقلالها وحرمة حدودها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

٢- الالتزام بحل المنازعات بالطرق السلمية والامتناع عن استخدام القوة او التهديد باستخدامها لحل ما ينشأ من نزاعات.

٣- السعي المستمر للتوصل الى حل عادل وشامل للنزاع العربي الاسرائيلي وبخاصة قضية فلسطين ولبها قضية القدس.

٤- الحفاظ على الامن لن يتأتى عن طريق حيازة الاراضي بالقوة ولكن بارساء دعائم السلام والتي لايمكن ان توفرها اسرائيل الا بالانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة.

المهمة الاولى.. تنقية الاجواء

هذه الرؤية المبكرة لمستقبل العالم ترجمت الى اهداف والتزامات لحركة السياسة الخارجية في جانبها الذي تولاه الملك عبدالله بن عبدالعزيز ضمن ثوابت ومبادئ المملكة.

ولعل هذا يبدو جليا في ان اول مهمة خارجية للملك عبدالله بن عبدالعزيز بعد أن أصبح ولياً للعهد في عهد الملك فهد يرحمه الله هي زيارة دمشق وبغداد في ١٤٠٢/١٠/٥هـ «١٩٨٢/٧/٢٥م» لتنقية الاجواء بين سوريا والعراق اذ كان يعي جيدا ان الصراع العربي الاسرائيلي يحتم ترتيب البيت العربي من الداخل اولا.. وكان انشغاله بهذا الهم سابقا على توليه ولاية العهد اذ قام قبل ذلك بثلاث جولات عربية شملت عمان والعراق وسوريا والاردن خلال عام ١٤٠١هـ «١٩٨١/١٩٨٠م»

اصلاح البيت العربي والاسلامي

ويتجذر هذا الاهتمام لينطلق بعد ذلك من ترتيبات الداخل الى اصلاح البيت العربي والاسلامي.. ويحرص في كل خطوة على الانطلاق عبر:

١- العمل المؤسساتي بمعنى الاصلاح من خلال دعم المؤسسات القائمة وتفعيلها كنظام اقليمي عربيا واسلاميا.

٢- الخروج من اسر التنظير الى تقديم مبادرات لا تحدد وسائل الاصلاح فقط وانما توفر آليات التنفيذ ايضا بما يضمن في حال تبنيها الحل وضمانات تطبيقه.

٣- تجسيد السياسة الواقعية الجديدة في ظل اختلال موازين القوى في العالم.

٤- الوضوح في تشخيص الخلل وتحديد استحقاقات التعامل معه.

٥- اعطاء الاولوية للهم العربي والاسلامي في كافة التحركات والجولات والاتصالات مع القوى المؤثرة في العالم واستثمار ثقل

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 04-08-2005
الصفحـات : 49
العـــدد : 14222
المسلسل : 129

المملكة في خدمة القضايا العربية.

مبادرة اصلاح البيت الاسلامي

وفي هذا السياق تأتي مبادرة عبدالله بن عبدالعزيز في القمة الاسلامية التي استضافتها العاصمة الماليزية كوالالمبور ٢٠-٢٢/٨/١٤٢٤ (١٦-١٨/١٠/٢٠٠٣) حيث قدمت المبادرة رؤية متكاملة ليس لاصلاح البيت الاسلامي فحسب بل ولتجسير الفجوة بين المسلم والآخر انطلاقا من مبدأ ان العالم بيت واحد تتجاور فيه الامم وركزت المبادرة على:

١- اصلاح منظمة المؤتمر الاسلامي عبر اعادة هيكلتها بما يضمن فعاليتها كنظام اقليمي من ناحية وتفعيل دورها من ناحية اخرى في خدمة الدول الاعضاء وقضايا الامة الاسلامية.

٢- تفعيل دور مجمع الفقه الاسلامي التابع للمنظمة بحيث يضطلع ايضا بمسؤولية التقريب بين المذاهب.

٣- الحوار مع الآخر في اطار مؤسساتي يعترف بهذا الآخر أولا ويؤمن بحتمية التعايش معه باعتبار هذا التعايش متطلبا اسلاميا لايتصادم مع روح ونص الشريعة الاسلامية.

مبادرة اصلاح البيت العربي

وفي السياق نفسه تأتي مبادرة اصلاح البيت العربي بما اصطلح على تسميته بـ«ميثاق اصلاح الوضع العربي» وتتجلى في هذا المشروع السياسة الواقعية الجديدة اذ لايمكن رفض الاصلاح -كمبدأ - لمجرد ان الآخر يطرح مشروعاته المفروضة من الخارج.. ومن ثم لا بد من طرح المشروع العربي الذي يراعي الخصوصية في اطار عملي قابل للتطبيق.

ويطرح الميثاق الفكر السياسي الناضج لرجل الدولة فيما يخص الاصلاح الشامل وضرورة التوحد والتكاتف في مواجهة الخطر كما يلمس اكثر اعصاب الوضع العربي الحالي حساسية اذ يتحدث في مقدمته عن عجز عربي دفع البعض الى استسهال التهجم على الامة والحاق الضرر بمصالحها المشروعة كما يتحدث عن افتقاد الجدية والمصداقية والالتزام بتنفيذ القرارات والتوصيات الصادرة عن القمم العربية..

ويركز الميثاق على عدة محاور لعل ابرزها:

- وضع حد لخروج بعض الدول عن السياق السياسي العام الذي يجري الاتفاق عليه في الاجتماعات العربية «من كان مستعدا لتسخير جميع امكاناته وقدراته في سبيل وضع مبادئ هذا الميثاق موضع التنفيذ الجاد والدقيق فعلى الرحب والسعة وهو منا ونحن منه اما من يرى في هذه المبادئ ما لا يناسب اهدافه وغاياته فلا يمكن ان يكون جزءا من العمل العربي المنشود

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 04-08-2005 العـــدد : 14222
الصفحـات : 49 المسلسل : 129

ويملك حينئذ حرية التصرف وفقا لتصوراته الخاصة.. ولن يقبل حتما من الزعماء ان يقولوا ما لا يفعلون او ان يعدوا بما لا يوفون به».

– بناء القدرات الدفاعية العربية والرفض القاطع لأي عدوان خارجي غير مشروع ضد اي دولة عربية.

– الالتزام بحل خلافات الدول العربية بالطرق السلمية وتحريم استخدام القوة بينها والوقوف موقفا موحدا ضد اي دولة عربية تعتدي على دولة اخرى مهما كانت الذرائع والظروف.

– تبني رؤى الاصلاح الذاتي وتطوير المشاركة السياسية داخل الدول العربية باعتبارهما منطلقين اساسيين لبناء القدرات وتوفير شروط النهضة العربية الشاملة وتلبية متطلبات الانخراط الايجابي في ميادين المنافسة العالمية وتحقيق التنمية المستدامة.

– ايجاد برامج لتشجيع الابداع والفكر الخلاق والتعامل بموضوعية مع المستجدات والمتغيرات المتلاحقة.

– وضع خطة عملية تستكمل تطبيق منطقة التجارة الحرة الكبرى بشكل نهائي عام ٢٠٠٥ والسعي الى وضع سياسة تجارية مستندة الى تعرفة جمركية موحدة وصولا الى قيام الاتحاد الجمركي في فترة لاتتعدى عشر سنوات تمهيدا لاقامة السوق العربية المشتركة.

المبادرة العربية

وتجسدت مبادرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز التي تبنتها قمة بيروت في مارس ٢٠٠٢ لتصبح مبادرة السلام العربية الواقعية السياسية التي تسعى للوصول الى الحق العربي بلا تنازلات مع ادراك المتغيرات على ارض الواقع.

وترتب المبادرة على اسرائيل اعادة النظر في سياستها وان تجنح للسلم معلنة ان السلام العادل هو خيارها الاستراتيجي.. وتطالب المبادرة اسرائيل بالتالي:

١– الانسحاب الكامل من الاراضي العربية بما في ذلك الجولان السوري وحتى خط الرابع من يونيو ١٩٦٧ والاراضي التي مازالت محتلة في جنوب لبنان.

٢– التوصل الى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق عليه وفقا لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ١٩٤.

٣– قبول دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ الرابع من يونيو ١٩٦٧ في الضفة الغربية وقطاع غزة وتكون عاصمتها القدس الشرقية.

وفي المقابل ترتب المبادرة على الدول العربية التالي:

١– اعتبار النزاع العربي الاسرائيلي منتهيا والدخول في اتفاقية سلام بينها وبين اسرائيل مع تحقيق الامن لجميع دول المنطقة.

٢– انشاء علاقات طبيعية مع اسرائيل في اطار هذا السلام الشامل.

دبلوماسية القمة.. غربا وشرقا

ويتحول السياسي الى رجل دولة يحمل هم امته في جولات تقوده شرقا وغربا من اجل حشد قوى العالم المؤثرة لتأييد قضاياه المفصلية والمصيرية.. ولعل جولة عبدالله بن عبدالعزيز عام ١٤١٩ التي شملت تلك القوى في غرب وشرق العالم تقدم هذا النموذج الفريد لرجل الدولة الذي يجول دولا مؤثرة وصاحبة قرار وذات مصالح واسعة مع المملكة وأمتها العربية الاسلامية. واستهلت الجولة ببريطانيا الموجه الحضاري للعالم الانجلوساكسوني.. وهي المدخل الضروري عندما يكون الحديث عن الحوار الحضاري.. ومن بريطانيا الى فرنسا الدولة المميزة في علاقاتها مع العرب والاكثر تفهما لقضايا المنطقة العربية وخاصة القضية الفلسطينية ولكن لفرنسا مواقف اخرى اشكالية تجاه الاسلام توجب الحوار معها.. اما الولايات المتحدة فهي الدولة التي لا بد منها في اية علاقات خارجية بغض النظر عن اي موقف حيالها او حيال جزء من سياستها.. وتمضي الجولة من الغرب الى الشرق حيث الصين الصديق الواعد.. اما اليابان وكوريا فهما مع الصين استثمار المستقبل.. ثم كانت زيارة باكستان الدولة الصديقة التي حملها العالم مسؤولية تفجير القنبلة الاسلامية ولا بد من الوقوف معها وهي تتعرض لعقوبات اقتصادية وتهديدات وحملات تشكيك.

وهكذا يجتمع السياسي ورجل الدولة في شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز القادر على صناعة الوطن/المستقبل.